بالرغم من أن الإيمان بالله جبلي إلا أن علماء المؤمنين استدلوا عليه بمجموعة من الأدلة وهي في تنوعها:

- قوية ومتماسكة
- ضعيفة لا تصمد أمام النقد
- باطلة لا يمكن تعديلها

والأدلة العقلية الصحيحة والقوية التي يسهب القرآن الكريم في ذكرها هي :

- الخلق والإيجاد
- الإحكام والإتقان

(1) الخلق والإيجاد: ينص على أن كل شيء يحدث بعد أن لم يكن؛ فإنه لا بد له من سبب وفاعل. ومن أدلته في القرآن قال تعالى: (أولا يذكرُ الإنسان أنّا خلقناه من قبلُ ولم يكُ شيئاً).

والاستدلال بهذا النوع يعد استدلالاً عقلياً ومتيناً برغم سهولته. كما له عدة مسميات مثل: (الدليل الكوني-دليل الحدوث-دليل الاختراع)

ويقوم دليل الخلق والإيجاد على مقدمتين أساسيتين هما:

الكون حادث من العدم وليس قديماً (أي له بداية وجود وانتقل من العدم إلى الوجود) واختلف موقف العلماء في إثبات هذه المقدمة إلى قسمين:

- حدوث بعض جزيئات الكون ومشاهدة بعضها بالحس، كافياً في الدلالة الضرورية على حدوثه بأجمعه ولا يحتاج لدليل لأنه معلوم بالحس أم الضرورة (رأي ابن تيمية) واستدل على ذلك بقوله: "حدوث الإنسان يُستدل به على المُحدث من خلال المشاهدة، ولا حاجة أن يُستدل على حدوثه بمقارنة التغير أو الحوادث له" بتصرف*
- إثبات وجود الكون يستلزم إثبات حدوث كل مكون منه بخصوصه ولا يكفي إثبات حدوث بعضه (رأي أتباع المدارس الكلامية) وأشهر أدلتهم: دليل الحدوث يقوم على أربع مقدمات: 1) الكون مكون من جواهر وأعراض 2) أن الأعراض حادثة 3) الجواهر لا تنفك عن الأعراض 4) مالا ينفك عن الأعراض فهو حادث

الحادث لا بد له من مُحدِث (مبدأ عقلي ضروري لا يحتاج لبرهان-قال الكندي"إن كان لكل برهان برهان، فلا وجود لشيءٍ ألبتة)

- حدوث الكون بعد العدم يعني أنه غير قديم، ولا بد لحدوثه من أمرين: حادث بغير فاعل (وهذا مناقض للعقل)، أو حادث بفاعل وهذا الفاعل إما أن يكون هو الشيء الحادث نفسه (وهذا مستحيل فلا يوجد فعل قبل فاعل، وفاقد الشيء لا يعطيه لنفسه ولا لغيره، والممكن في حال العدم متساوي في حقه الوجود والعدم) أو أن يكون الفاعل غيره ومؤثر خارج عن ذات الشيء فيكون إما مسبوق بعدم فيكون عبارة عن سلسلة من الفاعلين لا تنتهي إطلاقاً، أو يكون غير مسبوق بعدم وهو الخالق الحي فلا يسبقه عدم ولا يلحقه فناء.

الأدلة العلمية والشواهد في إثبات حدوث الكون:

العلم التجريبي: يقر بأن الكون حادث، يقول العالم الفيزيائي بول ديفيز: "أهم اكتشاف علمي في عصرنا هذا هو أن الكون المادي لم يكن موجوداً أبداً"

قانون الديناميك الثاني: ويدل على أن الطاقة في الكون تسير في اتجاه واحد فقط من الأعلى حرارة إلى الأقل حرارة، دلالة على أن مكونات الكون تفقد حرارتها تدريجيا فقد بدأت بحرارة عالية وستنتقل لدرجة منخفضة جداً تنعدم فيها الطاقة

نظرية الإنفجار العظيم: وهي أن الكون بدأ بانفجار كبير منذ 15000 مليون سنة وتعد من الأدلة التي يعتمد عليها بعض العلماء الملاحدة مثل ستيفن هاوكنج، والبعض الآخر انتقدها بشدة.

2) دليل الإحكام والإتقان: وهو الاستدلال على ضرورة وجود الله تعالى بما في العالم من الإتقان في الخلقة والإحكام في تفاصيله الدقيقة. وقد أطلقت عليه عدة مسميات منها : (دليل العناية-دليل التصميم-دليل الهداية والغاية).

تدل المخلوقات على وجود الله من جهتين:

1) من جهة إحداثها من العدم 2) ومن جهة إتقانها وإحكامها.

موطن الفرق والتشابه بين الدليلين:

الفرق	التشابه
دليل الخلق والإيجاد: يتناول نشأة الكون في أول حدوثه	كلٌ منهما يستند في دلالته إلى آثار الله تعالى في الخلق، وكلٌ منهما مركب من دلالة الحس والعقل معاً.
دليل الإحكام والإتقان: حالة الكون بعد وجوده	

ويقوم دليل الخلق والإيجاد على مقدمتين أساسيتين هما:

أن الكون متقن ومحكم في خلقه، أي رُكب في صورة معقدة لا يُمكن أن تُعزى إلى الصدفة أو للكون نفسه. والأدلة والشواهد على هذه المقدمة تنقسم لنوعين:

- **الدليل الحسي المباشر:** فكل عاقل يشاهد أصنافاً متباينة من الإتقان في الوجود، وأشكال متعددة من الإحكام في صنعة الأشياء. وقد كان هذا الدليل منتشراً بين الأقدمين قبل ظهور العلم التجريبي. يقول في ذلك ابن رشد: "ليس يمكن أن تكون الموافقة التي في جميع أجزاء الإنسان والحيوان والنبات بالاتفاق، بل ذلك من قاصد قصده، ومريد أراده هو الله عز وجل"
- **الدليل العلمي التجريبي:** فمع التطورات العلمية الحديثة كشف العلماء أشكالاً مختلفة من التصميم المُتقن وقد أقروا بإتقان الكون وليس ذلك إقراراً خاصاً بالمؤمنين. يقول الدكتور جون وليام كلونس: "إن هذا الكون الذي نعيش فيه قد بلغ من الإتقان والتعقيد درجة تجعل من المحال أن يكون نشأ بمحض المصادفة، إنه مليء بالروائع والأمور المعقدة التي تحتاج إلى مدبر، ولا يمكن نسبتها إلى قدر أعمى" ومن أبرز ما تحدث به العلم التجريبي قضية الثوابت الكونية التي تدل على كون مُحكم الصنع

أن الإتقان والإحكام لا بد له من فاعل، فمشاهد الإحكام في الوجود لا يمكن أن تقع بغير فاعل عالم قادر لكونها معقدة ومتداخلة جداً. ويدل على صحة هذه المقدمة وضروريتها أمران:

- **الضرورة العقلية:** لأن الإحكام والإتقان فعل يتطلب فاعل متصف بصفات كمالية كون هذا الفعل يتميز بتراكيب خاصة معقدة.
- **الضرورة الرياضية:** فالحسابات الرياضية تدل على استحالة وجود الإتقان من دون فاعل حكيم عليم قادر.ومن الأمثلة على ذلك: مثال الدراهم العشرة، مثال كيس الرخام، مثال البروتين، مثال القردة.

ومن الجدير بالذكر أن دليل الإتقان والإحكام دليل عقلي وشرعي في آن واحد، لاهتمام النصوص الشرعية الإسلامية به وقد تنوعت الإشارة له في القرآن الكريم ومن تلك الإشارات قوله تعالى: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج*والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج*تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) سورة ق-الآيات: 6-8)

الأدلة الفطرية على وجود الله عز وجل:

يتفق أهل العلم سلفهم وخلفهم على أن معرفة الرب عز وجل والإقرار بوجوده هو أصل العقائد الإيمانية كإفراد الله بالألوهية والربوبية، وغير ذلك ولا يمكن تحصيلها دون الإقرار بوجوده ابتداءً؛ ولكن محل الخلاف هو: **ما هي طبيعة هذا الإقرار وما هو السبيل لتحصيله الفطرة أم العقل؟**

يُجمع أهل العلم من خلال تناول الوحي لمسألة معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده وما نُقل عن السلف رحمهم الله، أن معرفة الله ضرورية مُودعة بالفطرة، ولكن في حال فسدت هذه الفطرة بما اعتراها من شبهات فإذن يتم تحصيل معرفة الله بواسطة العقل وذلك بالنظر والاستدلال في الأدلة الشرعية الصحيحة للتذكير بالفطرة السليمة وليس لتأسيسها مع التنويه إلى أن طرق معرفة الله والإقرار به متنوعة ولا يجب حصرها في طريقة واحدة بل إذا أثبتت أي هذه الطرق نفعها كان ذلك كافياً لمن يحتاج إليها.

تمنحنا الفطرة معرفة إجمالية بالله، والوحي يفصّل هذه المعرفة

دلالة الوحي على وجود المكون الفطري

قال تعالى: (فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه : (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)	*** وتمت الإشارة إلى معرفة الله كمكون مركزي في نفس الإنسان:** قال تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين*أو تقولوا أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون) واختلف أهل العلم في تفسيرها: 1) فئة منهم قالت: (أن هذا الإشهاد وقع في عالم الذر وبشكل مباشر ولكن الإنسان نسيه وبقي في فطرته واستدلوا بحديث النبي (أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة- فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها/ فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلاً قال: (ألست بربكم قالوا بلى...الآية) 2) الفئة الأخرى قالت: أن الإشهاد لم يقع حقيقةً بل الآية تشير إلى الشهادة الفطرية التي أودعها الله.	قال تعالى: (قالت رسلهم أفي الله شك)، وذكر ابن كثير في تفسير أنها تحتمل أمرين: 1)أفي وجوده شك؟ فالفطرة مجبولة على معرفته والإقرار به 2) أفي ألهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك؟ وهو الخالق لكل شيء ولا يستحق العبادة إلا هو جل وعلا. **وتكشف الآية عن حجتين في الرد على من شكك في الله تعالى:** 1) الفطرة: استدعاء لنداء الفطرة في قوله (أفي الله شك)، 2) العقل: في قوله: (فاطر السماوات والأرض) فهو استدلال بالأثر على المؤثر.

- **ما المقصود بفطرية المعرفة؟** معنى فطرية معرفة الله تعالى لا يُقصد أنها حاصلة في النفس من لحظة الولادة، بل هي قوة مودعة في النفس إذا توفرت شروط ظهورها وانتفت الموانع كعوامل الإفساد الخارجية. قال صلى الله عليه وسلم: (ما من مولود إلا يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه). ويوضح هذه المسألة ابن تيمية رحمه الله بالاستدلال بقوله تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً)؛ فالمولود وإن كان فُطر على الإسلام فهو لم يخرج من بطن أمه مريداً لهذا الدين وعارفاً إياه بل فطرته تستلزم معرفة الخالق والإقرار بوجوده بحسب كمال هذه الفطرة من المفسدات.

أدلة واقعية على أن معرفة الله تعالى فطرية:

(الواقع يشهد بأن نزعة الإيمان بالله مكون صميمي ومركزي في الإنسان)

- استيقاظ فطرة الإيمان بالله عند الشدائد والكوارث وعجز الإنسان. قال تعالى مشيراً إلى هذا المعنى: (وإذا مس الإنسان ضرٌ دعا ربه منيباً إليه).
- كثير من المختصين حتى من الملاحدة يقرون بمركزية النزعة الإيمانية الفطرية في الإنسان وأنها ليست ناتجة عن مجرد تأثير البيئة المحيطة، وأمثلة ذلك ما يذكره التاريخ البشري والدراسات بأن الدين مكون مركزي في الحضارات والأمم.
- تشكلت مجالات معرفية لدراسة هذه الظاهرة، ومن هذه الدراسات البحث عن جين مسؤول عن التدين أو عن وجود مكون عضوي في الدماغ مسؤول عنها. ولا نقر بهذه الدراسات كونها محل جدل كبير ولكن الهدف أن نشير إلى أن الباعث إلى عمل هذه الدراسات هو مبدأ الإقرار العميق بوجود الله

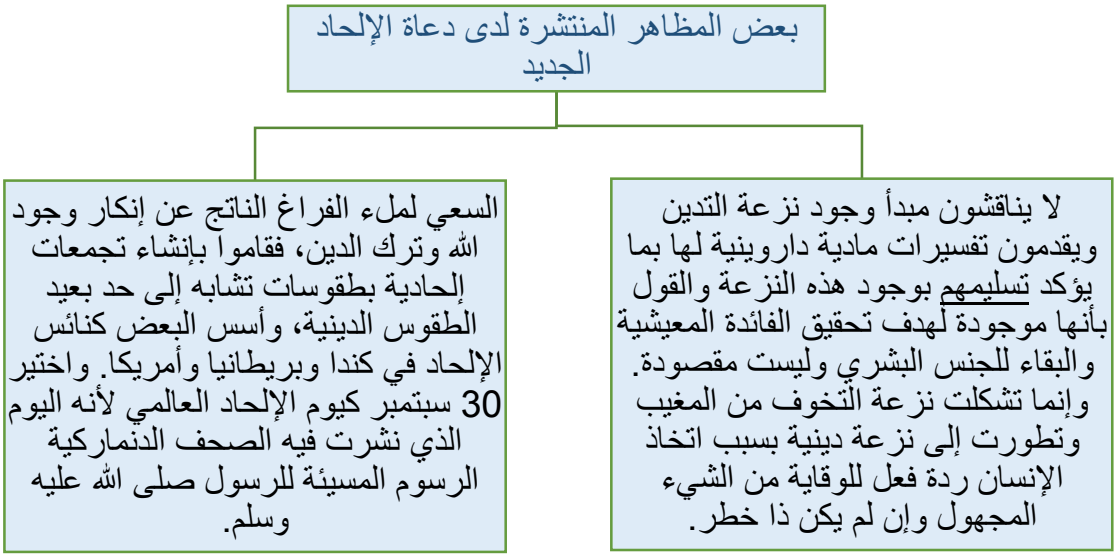

الإكتفاء بالدلالة الفطرية غير كافي في الجدل مع الملحدين فبعضهم: يكابر مع علمه بوجود هذه النزعة، يتنكر لها لإشكالية وقع بها جعلته لا يشعر بجودها، لا يرى في وجودها دليلاً مع اعترافه بوجودها ويظن أنها نزعة إنسانية باطلة أحدثتها الداروينية بهدف إبقاء النوع ولا يثق بصحتها من الناحية المعرفية.

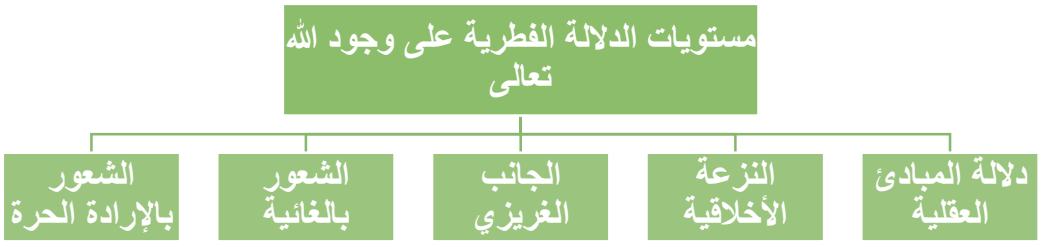

1) المبادئ العقلية:

الإنسان يدرك بالضرورة وبعقله هذه المبادئ البدهية بلا الحاجة إلى النظر أو الاستدلال و تسمى بالعلوم الضرورية، أما العلوم النظرية فتختلف عنها:

العلوم الضرورية	العلوم النظرية
فطرية لا تحتاج لنظر واستدلال وبرهان وهي المرجع عند الاستدلال يقول ابن حزم: "ما كان مدركاً بالعقل والحواس فليس عليه استدلال أصلاً"	يحصل عليها المرء بالنظر والاستدلال وتُرد إلى العلوم الضرورية
لا يقبل الإنسان التشكيك بها عقلاً ومنطقاً لأنها بدهية	قد تعتريها الإشكالات فتُحل بالنظر والاستدلال

كيف نحصل على العلوم الضرورية الفطرية؟

1) هي ضرورة عقلية فطر الله تعالى الإنسان عليها ولا تحتاج إلى نظر أو استدلال أو تعلم أو بحث فمثلاً عندما نقطع البرتقالة إلى 4 أجزاء معلوم أن أحد أجزائها أصغر من مجموع الأجزاء كاملة. والمبادئ العقلية مثل مبدأ السببية (لكل فعل فاعل ولكل حدث سبب)، وعدم اجتماع النقيضين، معلوم بالعقل بلا تجربة.
2) البعض يقول بأن إدراك المبادئ العقلية يكون بالحواس فينكر عقلاً أن أحد أجزاء البرتقالة أصغر من مجموع أجزائها لأنه لم يجرب ذلك بحواسه، فينكر البدهيات وهو ما يسمى بالسفسطة.

كيف يثبت الملحدون أنهم يقرون بالمسلمات من حيث لا يشعرون؟

-يقرون بأن الكون محكوم بسنن معينة ثابتة وهذا لا يمكن إثباته بالعلم التجريبي بل بالعلوم الضرورية.

-يسعون للاستدلال المستمر ويقرون بوجود تلازم بين الدليل والمدلول وهذا ما ينص عليه مبدأ السببية.

يهدر الإلحاد المبادئ العقلية الضرورية ويلغي قيمتها الموضوعية ويدعي النسبية للعلوم كافة، ولا يمكن الإقرار بقيمها المطلقة المتجاوزة للوجود الإنساني أي سواءً وجد الإنسان أم لم يوجد إلا بواسطة إثبات وجود خالق لهذا الكون متصف بالكمال المطلق. ومن هنا نفهم معنى عبارة: (العلم بالله أصل للعلم بكل معلوم) فلا يمكن إثبات المطلقات إلا بإثبات وجوده المطلق جل وعلا. قال تعالى واصفاً نفسه: (علم الإنسان ما لم يعلم) فهو ابتداء كل علم.

2) النزعة الأخلاقية:

-معناها: هي نزعة وفطرة متأصلة في النفس يدرك من خلالها الإنسان القيم الأخلاقية الحسنة من السيئة، فهو يدرك الظلم من العدل والخير من الشر وأبعادها الموضوعية. وهي قيم موجودة مطلقة سواءً وجد الإنسان أم لم يُوجد.

-رأي الملحد في النزعة الأخلاقية وتفسيره لها: ينظر الإلحاد للنزعة الأخلاقية على أنها نسبية فمثلاً الخير في وجهة نظرة الأمريكي تختلف عن معاني الخير في وجهة نظر الصيني، وأن الخير لا علاقة له بوجود الله ومن الممكن أن يكون الإنسان خيراً بدون الإيمان بوجود الله. ولكن لا يمكن للإنسان أن يتصف بهذه الأخلاق ويدرك معانيها وقيمتها الموضوعية المطلقة غير المرتبطة بوجوده إلا إذا آمن بوجود رب متصف بكمال مطلق.- يقول الملحد ستيفن هوكنج: "الجنس البشري هو مجرد وسخ كيميائي، موجود على كوكب متوسط الحجم) إذا كان هذا ما يعتقده الملحدون إذاً ليس هنالك مبرر لوجود القيم الأخلاقية المطلقة والحاجة الضرورية لها.
-يفسر الملحد وجود القيم والأخلاق بشكل **براغماتي نفعي**، أي إذا كان خلقاً معيناً عائداً بالنفع على الإنسان فيأخذ به وليس السبب هو ميله الفطري لهذا الخلق الحسن كالعدل مثلاً. أو يفسره **بالنسبية** أي أن الأخلاق الحسنة والسيئة نسبية تختلف من إنسان لآخر. يعني لو اعتدى شخصاً على طفل فهذا خطأ في وجهة نظر من يقر بذلك وليس هو خطأً على كل حال!

أ)للفلسفة الأخلاقية من ناحية تفسيرها مستويان: 1) هل للقيم الأخلاقية المطلقة وجود، أم لا؟ وبسبب عجز الملاحدة عن الإجابة على هذا السؤال فهم ينتقلون للمستوى الثاني : **2) إن كان للقيم الأخلاقية وجود فكيف نتعرف عليها بدون اللجوء للدين، وهل العلوم الطبيعية تعرفنا عليها؟** ويجيبون على ذلك باعتقادهم أن القيم الأخلاقية تعبر عن كل ما يرتقي بعافية الإنسان والعلم يخبر الإنسان بما يحقق العافية له، فإذن هو قادر على تحديد القيم الحسنة والقبيحة، وفي ظل التفسير الداروينى لظاهرة الأخلاق فلا وجود لقيمة أخلاقية مطلقة بل هي تتطور مع الإنسان وشعوره بها صدفة.

اختلاف الملاحدة في تحديد الأدوات التي توصل الإنسان لمعرفة الأخلاق الحسنة والرديئة:

-يجعل هارس من العلم الطبيعي أداة للتعرف على القيم الأخلاقية، ويعارض دوكنز: (العلم الطبيعي ليس لديه طرق للحكم على ما هو أخلاقي، إن هذه مسألة متروكة للأفراد والمجتمع).
-يصف دوكنز الإسلام بأنه أعظم قوى الشر، مع أنه في وجهة نظره المادية للكون يجب ألا يكون هناك خير أو شر أصلاً!

ب)أما من ناحية الممارسة والتطبيق الفعلي: يعتقد كراوس بأن زنا المحارم ليس خطأً، ويصرح بيتر سينغر بأنه لا يرى مشكلة في ممارسة الجنس مع الحيوانات، إلى جانب العديد من الممارسات اللاأخلاقية والمنحرفة عند بعض الملاحدة.

3) الجانب الغريزي:

توجد نزعة غريزية في كل الكائنات تجعلها تفعل أمر معين لمصلحتها بدون أن يعلمها أحد ذلك أو يدربها عليه. فالأم بغريزتها تهتم بأطفالها وترعاهم، والطيور مثلاً لها وقت هجرة محدد ولوجهة محددة. **ولكن من أين جاءت هذه الغرائز؟**

الملحد: يرى أنها ناشئة عن التطور لمصلحة البقاء من خلال الجين الأناني الذي يريد البقاء بكل وسيلة ممكنة. فمثلاً مشاعر الأم تجاه أبنائها وحبها لهم وتضحيتها يحولها التصور الداروينى إلى حركة ميكانيكية آلية بفعل الجين الأناني، فليس ثمة حب حقيقي في قلب الأم، بل هي الأنانية التي تجعلها ترغب في استبقاء جيناتها في أبنائها! **أما المؤمن بوجود الله:** يرى بأنها هبة من الله تعالى. قال تعالى في حديثه عن موسى الذي أشار إلى هذه الغريزة بقوله: (قال فمن ربكما يا موسى*قال ربنا الذي أعطى كل شيءٍ خلقه ثم هدى) أي خلق المخلوقات بخلق لائق بها مناسب لها، ثم هداها لمعيشتها ولما خلق لها من منافع. وإذا ثبت أنها مخلوقة ومهدية لهذه الأفعال، فلا بد من وجود خالق وهاد.

4) الشعور بالغائية:

لدى الإنسان شعور فطري بالبحث عن الغاية من وجوده ومن الحياة، فيسأل من أنا؟ ومن أين أتيت؟ وما الغاية من وجودي؟ وما مصيري؟ ولهذا قال عليه الصلاة والسلام بأن أصدق الأسماء حارث وهمام، فالإنسان بطبيعته يقصد ويريد ولا يمكن أن نتصور هذه المعاني إلا في وجود من يقصده الناس ويريدونه وهو الله جل وعلا. أما بالنسبة للتصور الإلحادي للغاية من الوجود فهو يعتبر هذه الأسئلة سخيفة ولا معنى لها لأنه يقول بأن الإنسان وُجد عن طريق الصدفة فلا قيمة للحياة حقيقةً. وذلك سببه بقول المشركين الأوائل: (وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) فإذا كان مصيرنا الموت ولا إله، فلا معنى للحياة. ولكنهم في المقابل يريدون تجاوز هذا الإشكال لديهم ويقولون بأن كل إنسان يرسم لنفسه هدف خاص. فهم يوهمون أنفسهم بأن هنالك هدف من وجودهم في ظل إنكارهم لغاية الخلق ووجود الله تعالى.

5) الشعور بالإرادة الحرة:

يفرق الإنسان بفطرته بين الفعل الاختياري والاضطراري الصادر عنه. فهنالك فرق بين رفع كأس ماء لفمه، وبين نبضات قلبه. الإلحاد لا يستطيع أن يفسر الإرادة الحرة بنظرته المادية لأن الكون في نظره بكل ما فيه مضبوط بقوانين صارمة والإنسان لا يقدر أن يحيد عنها فكل أفعاله مجرد تفاعلات كيميائية في الدماغ.

فكيف توجد إرادة حرة؟ وبسبب هذه الثغرة انقسم الملاحدة في أقوالهم إلى 3 أقوال:

1) منهم من قال بأن الإرادة الحرة وهم والإنسان مجبور على أفعاله (سام هارس)

2) منهم قال بأن نظرته المادية للكون تجعله يميل إلى الاعتقاد بأن الإرادة وهم ولكنه لم يفكر في هذه القضية فرأيه ليس واضحاً بصراحة (ريتشارد دوكنز)
3) منهم من جمع بين الإرادة الحرة والجبرية وتسمى بالتوافقية فيكون الإنسان حراً ومجبوراً في آن واحد.

مفارقات : كيف يألف الملاحدة الكتب ويبشرون ويدعون للإلحاد مع أنهم يؤمنون بأن الإرادة الحرة وهم، فما الجدوى من هذه الأفعال إذا كان الإنسان مجبولاً على ما هو عليه ولا يملك أن يتغير ويتفق معهم في ما يدعون إليه؟